توجيه القراءات في الجزء السادس عشر من القرآن الكريم

الباحثة/ فاطمة بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل عتيق

معيدة بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز – المملكة العربية السعودية

التخصص التفسير وعلوم القرآن بقسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[3].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما﴾[4].

أما بعد:

فإن علم القراءات من أجل العلم قدراً، وأشرفها منزلة، وأرفعها مكانة؛ لتعلقه بكتاب الله عز وجل، وكلامه المبين، وأحمد الله جل في علاه أن هيأ لي أن أخوض غمار فنٍ من فنون هذا العلم ألا وهو علم توجيه القراءات القرآنية، والفضل بعد شكر

---

(1) هذه خطبة الحاجة التي كان النبيﷺ يفتتح بها خطبه، ويعلمها أصحابه، أخرجهما مسلم في مسلم في صحيحه كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة(ح٨٦٨-٢/٥٩٣).

(2) سورة آل عمران: ١٠٢.

(3) سورة النساء:١.

(4) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

للأستاذ الدكتور محمد محي ولد الشيخ، الذي كلفنا بهذا البحث اليسير على منوال منهج فكان منى اختيار الجزء السادس عشر وتوجيه بعض القراءات القرآنية، وبيان معانيها لدي بعض من المفسرين، ورد ما يرد على بعضها من إشكال حيث أوردنا الإشكال ووجهه، وتوجيه القراءة المشكلة وتخريجها بما يسره الله تعالي.

ثم إني جعلت البحث في مبحثين:

المبحث الأول: مقدمة في علم توجيه القراءات.

واشتملت على عناوين عدة:

أولاً: تعريف التوجيه لغة واصطلاحاً.

ثانياً: مسميات هذا العلم.

ثالثاً: أهمية هذا العلم وفائدته.

رابعاً: نشأة هذا العلم وتطوره، مع أهم المصنفات فيه.

خامساً: بواعث التأليف في علم الاحتجاج للقراءات.

سادساً: علاقة هذا العلم بالنحو.

سابعاً: مفهوم الاختيار... وأسبابه[1].

المبحث الثاني: توجيهات القراءات القرآنية.

وراعيت في ذلك أمرين:

-أورد في كل آية القراءات الواردة، ومن قرأ بها من الأئمة، ونوجه لكل قراءة، ونبين ما فيهما من اتفاق في المعنى أو اختلاف، وقد أذكر في نهاية كل قراءة اختيار بعض الأئمة لإحدى القراءات، مع بيات علة اختياره.

– ما ورد من مشكل هذه القراءات قد بينه ببيان الأشكال ووجهه، ومن ثم توجيه القراءة الوارد عليها الأشكال مع الرد عليه.

والله نسأل أن نكون فيه قد وفقنا، وما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه خطأ فاستغفر الله العظيم، رجاءً في مغفرته ولطفه والحمد لله رب العالمين.

---

(1) نظراً للمرور به كثيراً في توجيه بعض علماء التوجيه أو التفسير.

المبحث الأول: مقدمة في توجيه القراءات:

أولاً: تعريف توجيه القراءات:

التوجيه في اللغة: من (وجه) والواو والجيم والهاء أصل واحد يدل على مقابلة لشيء، والجمع الوجوه. والوجه والجهة بمعنى، والاسم الوجهة بكسر الواو وضمها، والمواجهة المقابلة.

والوجه مستقبل لكل شيء، يقال: وجه الرجل وغيره، وربما عبر عن الذات بالوجه.

ويقال هذا وجه الرأي أي: هو الرأي نفسه، وقعد تجاهه بضم التاء وكسرها أي: تلقاءه ووجهه في حاجة ووجه وجهه لله وتوجه نحوه وإليه وشئ موجه إذا جعل على جهة واحدة لا تختلف[1].

أما توجيه القراءات في الاصطلاح:

توجيه القراءات عرف بعدة تعريفات وأكثر هذه التعريفات متقاربة المعنى وإن اختلف اللفظ، ومن هذه التعريفات أنه: علم يبحث فيه عن ماهية القراءات ببيان عللها وتوجهها من حيث اللغة والإعراب[2].

وبعبارة أخري: بيان وجه كل قارئ فيما اختاره ومن قراءة، وأكثر هذه الوجوه لغوية[3].

ثانياً: مسميات هذا العلم:

يعرف هذا العلم بعدة تسميات ولعل من أبرزها:

- اشتهاره بعلم الاحتجاج للقراءات القرآنية ووجه هذه التسمية: أن كل من ألف فيه كان يفتتح بيان وجوه القراء بقولهم: وحجة من قرأ بكذا كذا[4].

كما عرف بمسميات أخري مثل:

- علم علل القراءات: وهو علم يتعلق بدراية القراءات؛ ويعنى ذلك: أنه لماذا اختار القارئ قراءة معينة من بين القراءات الكثيرة التي صحت لدية وكان يتقنها؟

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (٦٦/٦)، ومختار الصحاح (٧٤٠/١).

(2) صفات في علم القراءات لأبي طاهر السندي ص: ٢٨٦.

(3) الجوانب الصوتية في كتب الاجتجاج للقراءات ص١٣.

(4) المرجع السابق.

فقد يكون هذا الوجه تعليلاً نحوياً أو لغوياً، وقد يكون معنوياً أو نقلياً، يراعي القارئ فيه أخباراً وأحاديث أستأنس بها في اختياره.

فـ"الاحتجاج" معناه: تعليل الاختيار وبيان وجهه من حيث اللغة والإعراب.

ومما ينبغي التنبيه إليه: أن هذا لا يعنى دليل صحة القراءة؛ لأن دليل القراءة صحة إسنادها وتواترها، فهي صحيحة لتواترها أو شهرتها واستفاضتها أو لصحة إسنادها– إن كانت من الآحاد– لا لعلة اختيار قارئ لها[١].

ويسمى كذلك:

١.وجوه القراءات.

٢. ومعاني القراءات.

٣. وإعراب القراءات.

ثالثاً: أهمية علم توجيه القراءات، وغايته:

لاشك أنه من أشرف العلوم وأجلها قدراً، لتعلقه بأشرف الكتب وهو القرآن الكريم.

قال الزركشي– رحمة الله[٢]: النوع الثالث والعشرون: معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ، وهو فن جليل وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتني الأئمة به وأفردوا فيه كتباً، وكل منها قد اشتمل على فوائد[٣].

أما غايته فإنها بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقاً للشرط المعروف "موافقة اللغة العربية ولو بوجه"[٤] كما

---

(١)انظر: صفحات في علم القراءات ص: ٢٨٦.

(٢) هو الإمام محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (٧٤٥– ٧٩٤هـ)، أبو عبدالله، بدر الدين، أحد العلماء الإثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن، وجهبذ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد، وهو أيضاً علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، كان عالماً بفقه الشافعية والأصول، له تصانيف كثيرة في عدة فنون. انظر: الأعلام للزركلي (٦٠/٦).

(٣)البرهان في علوم القرآن (٣٣٩/١).

(٤) مع ضرورة التنبيه إلى أن هذا العلم ليس لبيان حجة القراءة لتكون صحيحة من حيث اللغة، بل القراءة الثابتة حجة بنفسها يستدل بها أهل اللغة على لغتهم.

يهدف علم التوجيه إلى رد الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات[١].

رابعاً: نشأة علم التوجيه وتطوره[٢]:

-الاحتجاج في بداية نشأته:

إن المتأمل للصحيح المأثور مما ورد في القراءات القرآنية يعلم يقيناً أن علم التوجيه نشأ منذ عهد مبكر، ويرجع ذلك إلى عصر صغار الصحابة الذين تلقوا القرآن الكريم من كبارهم، وتعرفوا على القراءات المختلفة والوجوه المتعددة للقراءة.

فعرف عن بعض من الصحابة رضوان الله تعالي عليهم كعلي، وابن عباس، وأم المؤمنين عائشةﷺ توجيه للقراءات القرآنية، ولكن هذا التوجيه من الصحابة تميز بأمرين:

-أنه ورد عن عدد قليل من الصحابة.

- أنه ورد في آيات قليلة أيضاً "بمعنى أنه لم يكن مستوعباً لجميع القراءات القرآنية"؛ ويعزي السبب في ذلك لأحد أمرين:

- أنهم كانوا يوجهون من القراءات القرآنية القراءة التي يختارها كل فرد منهم فقط دون غيرها.

- أو أنهم كانوا يوجهون من القراءات ما كان فيها غموضاً أو نحوه دون غيرها من القراءات.

ومن أمثلة ما يدل على ذلك مما ورد من توجيهات للصحابة:

فنقول أكثر من ورد عنه من الصحابة ابن عباس رضي الله عنه:

ومن ذلك ما ورد عنه في قوله تعالى:﴿**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ...**﴾[٣] أنه يقرؤها بفتح النون وضم الشين والراء المهملة "ننشرها"[٤]، ثم احتج لها بقوله تعالي:﴿**ثُمَّ**

---

(١) مقدمات في علم القراءات ص:٢٠١.

(٢) تلخيص من: صفحات في علوم القراءات، وتوجيه مشكل القراءات العشر.

(٣) سورة البقرة.

(٤)سورة عبس.

إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾[1]؛ فاستشهد للوجه الذي قرأ به آية البقرة بالوجه المتفق على قراءته بالراء في سورة عبس.

–ومثله ما ورد في قوله تعالي:﴿**فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]. قال ابن زنجلة[3]: قرأ حمزة والكسائي "قال أعلم أن الله على كل شيء قدير" جزما على الأمر من الله، وحجتهما قراءة ابن مسعود قيل: "أعلم أن الله على كل شيء قدير" وكان ابن عباس يقرؤها أيضاً: "قال أعلم" ويقول: أهو خير أم إبراهيم إذ قيل له: "واعلم أن الله عزيز حكيم"[4].

– الاحتجاج في عصر الأئمة القراء:

ثم انتقل هذا العلم الجليل– نظير علم القراءات– من صدور الصحابة إلى صدور التابعين من تلاميذهم، وكلما انتشر علم القراءات واشتهر زاد علم الاحتجاج وازدهر.

فعرف التوجيه في هذه المرحلة ونقل عن جمع منهم كمجاهد وقتادة والحسن– رحمهم الله تعالي، ومما يلحظ عليه أنه لم يخط خطوات كبيرة؛ بل كان على مقارباً للحال الذي كان عليه في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

ومن القراء المشهورين من هو تابعي، ومنهم من هو من أتباعهم، وكان علم الاحتجاج معروفاً لديهم كما كان علم القراءات واللغة والنحو معروفاً لديهم ومنتشراً فيهم.

ومن أئمة القراءات من هو من أعلام اللغة والنحو؛ أمثال: أبي عمرو بن العلاء، والكسائي، ويعقوب الحضرمي وغيرهم، وكان كل قارئ من القراء يختار قراءة من بين القراءات المتعددة، ويفاضل بين القراءة التي يلتزمها وبين التي يعرفها ويتعلمها.

---

(1) سورة البقرة.

(2) انظر تفسير القرطبي (٢٩٥/٣)، والبحر المحيط (٦٣٧/٢)، والدار المصون (٥٩٨/١).

(3) هو:عبد الرحمن بن محمد (.....– ٤٠٣هـ) أبو زرعة ابن زنجلة. علم بالقراءات، كان قاضياً مالكياً.

(4) حجة القراءات ص١٤٤.

وكانت وجوه المفاضلة متعددة لدي الناس؛ من حيث وفرة التواتر وعدمه، ومن حيث جلاله الإمام القارئ وقدمه، ومن حيث البلدة التي استفاضت قراءته فيها واشتهرت.

وقد نقل الاحتجاج لبعض القراءات عن أئمتها المشهورين؛ أمثال: عاصم الجحدري "١٢٨هـ" وعيسى بن عمر "١٤٩هـ"، وأبي عمرو "١٥٤هـ" وعلي الكسائي "١٨٩هـ" وغيرهم.

ويعتبر ذلك تخريجات واحتجاجات فردية لبعض القراءات، ينهج فيها أصحابها نهجاً لغوياً وإعرابياً في الاحتجاج أو يستعينون بقراءة على تخريج قراءة أخري، واستمر الأمر على ذلك إلى عصر التدوين والتأليف في الاحتجاج.

- الاحتجاج في عصر التدوين والتأليف فيه:

ويمكننا أن نقسم هذه المرحلة إلى قسمين باعتبارين:

الأول: بداية التدوين والاحتجاج ضمن علوم أخري.

الثاني: مرحلة التدوين والاحتجاج استقلالاً[١].

ثم نتحدث عن القسم الأول من هذه المرحلة فنقول:

كان التدوين والاحتجاج في هذا القسم عبارة عن آراء لبعض المصنفين في علوم أخري كعلم التفسير، ومعاني القرآن، وإعرابه، وغريبة، وكالتأليف في علم النحو؛ فيذكرون التوجيه والاحتجاج لبعض تلك القراءات عند بيان قراءة من القراءات القرآنية.

ومن أوائل الكتب المؤلفة الرائدة في هذا القسم كتاب سيبويه[٢].

ومن أمثلة ما ذكر في كتابه:

قوله: وبلغنا أن أهل المدينة يرفعون هذه الآية ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[٣] فكأنه والله أعلم قال الله عز وجل: لا يكلم الله البشر إلا وحياً أو يرسل رسولاً أي: في هذه

---

(١) أي كعلم مستقل بذاته في التصنيف في توجيه القراءات القرآنية.

(٢) هو إما النحاة عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (١٤٨- ١٨٠هـ) الملقب سيبويه.

(٣) سورة الشوري.

الحال، وهذا كلامه إياهم، كما تقول العرب: وعتابك السيف، وكلامك القتل، قال الشاعر:

وخيل قد دلفتُ بخيلٍ تحية بينهم ضرب وجيع

ثم يأتي بعد كتاب سيبويه كتب كثيرة صنفت في معاني القرآن وإعرابه وغريبه وتفسيره ومن أمثلتها:

– معاني القرآن تأليف: يحي بن يزيد الفراء (٢٠٧هـ).

– معاني القرآن تأليف: سعيد بن مسعدة المعروف بـ"الأخفش الأوسط" (٢١٥هـ).

– جامع البيان "تفسير الطبري" محمد بن جرير (٣١٠هـ).

– معاني القرآن وإعرابه تأليف: إبراهيم بن السري أبو اسحاق الزجاج (٣٣٨هـ).

ثم نتحدث عن القسم الثاني من هذه المرحلة وهو يمثل التدوين للاحتجاج تدويناً ينفصل عن القسم الأول، وهي كر القراءات وتوجيهها في كتب مستقلة.

فنقول: اختلف المصنفون من العلماء في علم التوجيه في تحديد أول من ألف في هذا العلم على أسماء عدة:

– فيري الدكتور/محمد سالم محيسن أن أول من ألف في الاحتجاج هو أبو بكر محمد بن السراج (٣١٦هـ).

– ويري الدكتور/عبدالفتاح شلبي أن التدوين في الاحتجاج بدأ في القرن الثاني الهجري.

ونحن في هذا نذكر عبر القرون بعضاً من أشهر المؤلفات للاحتجاج للقراءات والتي استوعب أكثرها وذلك ابتداء القراءات وتوجيهها ابتداءً من القرن الثاني الهجري حتى ينتهي بنا المطاف إلى التأليف للاحتجاج في عصرنا الحاضر وذلك حسب الترتيب الزمني:

١.وجوه القراءات لهارون بن موسي الأعور١٧٠هـ الذي قال عنه أبو حاتم السجستاني: "إنه أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتتبع الشاذ منها فبحث عن إسناده" والبحث عن الإسناد ضرب من الاحتجاج.

٢. الجامع لاختلاف وجوه القراءات ليعقوب بن إسحاق الحضرمي ٢٠٥هـ أحد القراء العشرة، وقد جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرآن، ونسب كل حرف إلى من قرأ به، وكان هو أعلم أهل زمانه بالاختلاف في القرآن وتعليله ومذاهبه.

٣. القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ، قال عنه بن الجزري: فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، جمع فيه.

٤. احتجاج القراءات لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢٨٥هـ.

٥. الجامع في القراءات[1] لأبي جعفر الطبري ٣١٠هـ.

٦. احتجاج القراء في القراءة لأبي بكر محمد بن السري السراج ٣١٦هـ.

٧. السبعة بعللها الكبير لأبي بكر محمد بن الحسن الأنصاري ٣٥١هـ.

٨. الانتصار لقراء الأمصار لأبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار ٣٥٥هـ، ألفه بعد وفاة ابن مجاهد.

٩. إعراب القراءات السبع وعللها للحسين بن أحمد بن خالوية الهمذاني ٣٧٠هـ.

١٠. الحجة في القراءات السبع له كذلك.

١١. الحجة للقراء السبعة لتلميذ ابن مجاهد أبي علي الحجسن الفارسي ٣٧٧هـ وهو يعتبر شرحاً لكتاب "السبعة" لشيخه ابتن مجاهد.

١٢. المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة وإيضاحها لتلميذ الفارسي أبي الفتح عثمان بن جني ٣٩٢هـ، وقد ذكر فيه علل القراءات التي لم تبلغ درجة التواتر.

١٣. حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، وهو من رجال القرن الرابع الهجري ٤١٠هـ.

١٤. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي ت٤٣٧هـ، ويعتبر كتابه هذا شرحاً لكتابه "التبصرة" في القراءات السبع.

١٥. اختصار الحجة لأبي عبدالله محمد الإشبيلي ٤٧٦هـ اختصر فيه كتاب أبي علي الفارسي.

١٦. تعليل القراءات العشر لمحمد بن سليمان ٥٢٥هـ.

---

(1) على اختلاف في تحديد أسمه فيسمى أيضاً بالبيان في القراءات، أو الفصل بين القراءة.

١٧. تعليل القراءات الشاذة والمنتخب لأبي البقاء العكبري ٦١٦هـ.

١٨. تحفة الأقران لأحمد بن يوسف الرعيني ٧٧٩هـ.

أما كتب المتأخرين في الاحتجاج، فمن أشهرها:

١٩. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد البنا الدمياطي ١١١٧هـ.

٢٠. الموضح في تعليل وجوه القراءات لأحمد عبد المنعم الدمنهوري ١١٩٢هـ.

٢١. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ عبد الفتاح القاضي ت ١٤٠٣هـ.

٢٢. طلائع البشر في توجيه القراءات العشر للشيخ محمد الصادق قمحاوي ١٤٠٥هـ.

٢٣. التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة وتوجيهها للدكتور محمد سالم محيسن.

٢٤. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام لمحمد عمر بازمول.

٢٥. توجيه مشكل القراءات العشرية القرشية للدكتور عبد العزيز الحربي.

خامساً: بواعث التأليف في علم الاحتجاج للقراءات[١]:

بعد أن أنهينا ذكره النشأة وتطورها، آل بنا الأمر لبيان البواعث التي لأجلها كان التأليف في علم الاحتجاج للقراءات القرآنية، ويمكن أن نلخصها فيما يلي:

١. توضيح الأركان الثلاثة للقراءة الصحيحة وهذه الأركان كما ذكرها بن الجزري رحمه الله[٢] وهي:

- صحة السند.
- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.
- موافقة العربية ولو بوجه.

---

(١) انظر ذلك عدة مراجع منها: توجيه مشكل القراءات للدكتور/عبدالعزيز الحربي، وصفحات في علوم القراءات د/عبد القيوم السندي، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات د/عبد البديع النيرباني.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ٧٥١– ٨٣٣هـ أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي.

وقد جمعها في طيبة النشر بقوله:

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة

٢. الدفاع عن القراءات لاسيما المتواترة ضد من توهم أن فيها لحناً[١].

فمنذ أواخر القرن الثاني الهجري اشتد نشاط أعداء الإسلام والحاقدين عليه، وقد أخذ هذا النشاط ينمو حتى قوى واستحصد في القرن الثالث الهجري، وما تلاه من قرون، حين ارتفعت راية الإسلام على كثير من الأقطار، ودخلت شعوب كثيرة في دين الإسلام بعضها صادق في إيمانه، وبعضها حاقد يعمد إلى شبهات يثيرها حول الكتاب والسنة؛ رغبة في إشباع نهمه في الإلحاد، وإشاعة البلبلة والعبث والفساد، وقد أصاب القراءات شرر من كيد الكائدين في هذه العصور التي شاعت فيها الزندقة، وتفشي فيها الإلحاد؛ حيث يثيرون مثل هذه الأسئلة:

ما سند هذه القراءات؟ وما حجتها؟

ولم ذهب ذلك القارئ هذا المذهب؟

وهل له معتمد من اللغة والنحو؟

من هنا تجرد النحاة والقراء- فيما ألفوا من كتب في الاحتجاج- للرد على هؤلاء، وآثروا القياس والنظر وأعملوهما فيما هو ثابت بالنقل والأثر؛ حتى يتصدوا للمعاندين ويواجهون أولئك بأسلحتهم نفسها التي جردوها في وجوه المسلمين وكتابهم المبين[٢].

٣. تطور الاحتجاج للقراءات بعد تسبيع ابن مجاهد؛ حيث بدأ هو بذكر توجيه القراءات في سورة الفاتحة من كتابه "السبعة"، ووجه كل خلاف بعد عزوه إلى قارئه،

---

(١) انظر: الجوانب الصوتية ص١٤.

(٢) صفحات في علم القراءات ص٢٩٥.

إلا أنه أمسك عن ذلك بعد انتهائه من الكلام في خلافات سورة الفاتحة مخافة التطويل وثقل الكتاب[١].

وكأن ابن مجاهد أثار بذلك موضوع الاحتجاج وبيان القراءات؛ ومن ثم تلامذته ومعاصريه بدأوا بالتأليف في الاحتجاج، وأغلب المؤلفات في علم الاحتجاج ألفت بعد ابن مجاهد في القرن الرابع الهجري[٢].

٤. بيان معنى الآية التي قرئت بأكثر من وجه وتفسيرها، ويكون الباعث على ذلك هو التوضيح والإفهام لوجع تفسيرية متعددة.

٥. لما كان للقراءات علاقة قوية باللغة العربية ولاسيما النحو أراد كثير من علمائها أن يتأيد بقراءة ما، ويحتج لها وبها، أو يقف منها موقفاً آخر مبيناً به أن احتجاج خصمه بتلك القراءة غير مستقيم– كما حدث بين كثير من نحاة البصرة والكوفة.

٦. وقد يكون من الأسباب أن "الكتاب"لسيبويه اشتمل على توجيهات قراءات كثير، وتوجيه بعض أساليب اللغة التي لها نظائر في القرآن الكريم؛ فيكون بذلك فتح الباب لمن بعده للتأليف في هذا العلم.

وهذه البواعث هي أكثر ما ذكر في المصنفات لهذه العلم، غير أن الدكتور عبد البديع النيرباني له رأي بالباعث الأول والثاني من بواعث التأليف حيث ذكر في كتابه "الجوانب الصوتية" ما مفاده:

أن هذين الدافعين فيهما نظر؛ فأما الأول:

– فإن كتب الاحتجاج لم تعن ينقد أسانيد القراءات التي تعرضت لها.

– وهي حين تحتج برسم المصحف لا تفعل ذلك لتوضيح موافقة القراءات لمرسوم الخط؛ وإنما لترجح قراءة على أخرى.

وأما الثاني ففيه نظر من ناحية أنه لا يفسر سوى الاحتجاج لمشكل القراءات مما تكلم فيه بعض اللغويين وغيرهم، وهو نزر يسير إذا قيس بما وراء مما لا يختلف على صحته لفظاً ومعنى.

---

(١) قال أبو بكر بن مجاهد في ذلك: استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة وكرهت أن يثقل الكتاب فأمسكت عن ذلك وأخبرت بالقراءة مجردة. السبعة في القراءات ص١١٢.

(٢) انظر صفحات في علم القراءات ص٢٩٦.

أضف إلى ذلك أن بعضاً ممن ألف في الاحتجاج قد ضعف ورد ووصف بالوهم واللحن بعض القراءات المتواترة.

ليتساءل بعد ذلك: كيف يُقال عن هؤلاء أن دافعهم للتأليف في الاحتجاج للقراءات هو الدفاع عنها؟!

ثم رأي بعد ذلك أن الدافع للتأليف أن كتب القراءات لما كانت كتب "رواية" يراعي فيها الاختصار تمكيناً للطلبة من حفظها، كان أكثرها يخلو من المعاني والعلل فجاءت كتب الاحتجاج وهي كتب "دراية" تشرح ما اختصر فيها.

ثم ذكر ما يستشهد به على أن الدافع للتأليف في الاحتجاج إنما هو شرح كتب القراءات بسبب ما انطوت عليه من إيجاز؛ أن أكثر كتب الاحتجاج بنيت على كتب في القراءات جعلت متناً له ذلك كمعاني القراءات للأزهري، والحجة لابن خالويه، والحجة لأبي لي وضعت على كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، وكالكشف لمكي وضعه على التبصره له، وغيرهم ممن ذكر.

وهذا مما يفسر الدافع الثالث وهو تكاثر كتب الاحتجاج بعد تأليف ابن مجاهد كتابه السبعة.

وقد جاء في مقدمة تحقيق "المحتسب" لبن جنى قولهم: وبعد، فكأنما كان تأليف القراء الكتب في جمع القراءات ونسبتها والبحث عن إسنادها داعيا لعلماء اللغة أن يؤلفوا الكتب في الاحتجاج لها، فقد مهدت أمامهم السبيل، ومدت لهم الأسباب، فكان جمع القراءات الخطوة الأولى والاحتجاج لها الخطوة التالية، والله أعلم[1].

سادساً: علاقة علم التوجيه بعلم النحو:

هناك علاقة وطيدة ومتينة بين توجيه القراءات والنحو؛ ولا غني لعلم القراءات عن نحو يوجه تلك القراءات ويوضح سبيلها في العربية، كما قيل:

وأحسن كلام العرب إن كنت مقرئا وإلا فتخطي حين تقرأ أو تقري

لقد يدعي علم القراءة معشر وباعهم في النحو أقصر من شبر

---

(1) المحتسب لابن جنى (٩/١).

فإن قيل ما إعراب هذا ووزنه رأيت طويل الباع يقصر عن فتر[1]

وجاء في الأرجوزة المنبهة في صفة من لا يؤخذ عنهم العلم:

وكل من لا يعرف الإعرابا فربما قد يترك الصوابا

وربما قد قول الأئمة ما لا يجوز وينال إثمه[2]

سابعاً: الاختيار مفهومه وأسبابه:

ولما رأيت في توجيه بعض القراءات عند علماءه، أو عند المفسرين قولهم:

"والاختيار"، رأيت أن أعرف بمفهوم "الاختيار" لدي القراء على إيجاز:

فنقول من المتقرر أن القراءات وحي منزل من الله عز وجل، وقد علمنا أن الصحابة رضوان الله عليهم تعلموا القرآن بالأحرف المنزلة من الرسولﷺ.

وكان كل واحد منهم يقرأ الحرف الذي أخذه منهﷺ فالتزمه وداوم عليه؛ ولذلك نسبت بعض الأحرف إلى بعض الصحابة، فيقال حرف أبي، وحرف ابن مسعود.

–ثم جاء دور التابعين، وأخذوا القرآن ممن لقوا من الصحابة؛ فتعددت الأحرف لديهم.

– ثم جاء دور تلامذتهم، وقد توسعوا في أخذ الأحرف وتلقيها من أساتذتهم من التابعين، فاختاروا بعض ما تعلموه وداوموا على تلاوته والتزموه، وكان هذا العصر هو عصر الأئمة القراء، وقد اشتهروا بتعليم كتاب الله تعالى، فأقرئوا بعض تلامذتهم بما التزموه، والبعض الآخرين بما يتلاءم وطبائعهم حسب اللغة واللهجة التي درجوا عليها، ولم يقرئوهم باجتهادهم؛ بل بما تعلموه من أساتذتهم بالأسانيد المتصلة إلى الرسولﷺ.

ويتبين من ذلك أن كلمة: "الاختيار" لا تعنى إجراء قياس واجتهاد في القراءات القرآنية؛ بل المقصود منها اختيار بعض ما رووه من الأحرف دون البعض عند التعليم والإقراء.

وأما عن أسباب الاختيار:

فإن لذلك سببان:

---

(1) مظاهر التجديد في التوجيه النحوى للقراءات القرآنية د/مبروك حمود الشايع بحث في مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

(2) الأرجوزة المنبهة لأبي عمرو (١٦/١).

١.الترجيح بين الروايات، واختيار أشهرها وأكثرها رواة؛ لأنهم كانوا يتتبعون ما عليه الأكثر، ويتجنبون ما انفرد به بعض الرواة، وشذ به واحد.

٢. التخفيف على تلاميذهم، واختيار ما يناسب بعضهم دون بعض، حسبما يتفرس الشيخ فيهم، أو حسبما هو المشهور من القراءات في بلد التلميذ ومصره، فيؤثر بعض التلاميذ بحروف والبعض الآخرين بحروف أخري، وربما قرأ عليه تلميذه بما هو معروف لديه في بلده فيسمعه الشيخ ويقره إذا وافق بعض مروياته.

-ثم إن القراء واللغويون توجهوا بعد ذلك إلى بيان علل هذه الاختيارات، وبدئوا يقيمون حججاً لغوية ونحوية عليها يؤيدون بها ما ذهبوا إليه من الاختيار، وذلك الذي أطلقوا عليه فيما بعد اسم: "علم الاحتجاج" أو "توجيه القراءات"، وهذا العلم في الحقيقة يعتبر ثمرة من ثمرات علوم اللغة العربية التي اشتغل العلماء بها خدمة للقرآن الكريم.

وكان "الاحتجاج" بالقراءات لدى القدامي لإثبات قواعد النحو وعلم اللغة؛ ولكن لدي قلة من اللغويين وبقدر محدود.

وأما "الاحتجاج" للقراءات بقواعد النحو وشواهد اللغة فكثير، وإن كان ذلك عكساً للوضع الصحيح- في الحقيقة- فالمفروض أن يحتج للنحو ومذاهبه وقواعده وشواهده بالقراءات- سواء المتواترة أو الآحاد، ما دام ثبتت بالأسانيد الصحيحة- لما توافر لها من الضبط والوثوق والدقة والتحري، وذلك شيء لم يتوافر بعضه لأوثق شواهد النحو.

يقول الإمام الرازي: "إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيراً ما تري النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلاً على صحتها كان أولى.

وفي ذلك يقول د/السيد الطويل: "القراءة مصدر لتقنين النحو وضبط قواعده، ولا يصح أن تحكم عليها بما قرره النحاة من قواعد على أساس بيت مجهول القائل أو عبارة قالها عربي في البادية.

ثم إنه ليس الغرض تصحيح القراءة بقواعد العربية؛ بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة[١].

---

(١) انظر: صفحات في علوم القراءات ص٢٨٧.

المبحث الثاني: توجيهات في الآيات القرآنية:

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾[1].

اختلف القراء في قوله:**﴿مِنْ لَدُنِّي﴾**

– فقرأ أبو بكر عن عاصم بفتح اللام وإشمام الدال ضمة مختلسة مع تخفيف النون.

– وقرأ نافع بضم الدال مع تخفيف النون.

– وقرأ الباقون بضم الدال وتشديد النون.

توجيه القراءات:

أصل هذه الكلمة "لدن" بإسكان النون، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نوناً ليسلم سكون النون الأولى.

تقول: "لدن زيد" فتسكن النون، ثم تضيف إلى نفسك فتقول: "لدني" فتدغم النون في النون كما تقول: "عنى"[2].

–أما من خفف النون: فإنه كره اجتماع النون فحذف واحدة، وهي الثانية لأنها زائدة كما حذف من قوله: "تأمروني"، وكما حذفت من قدني وقدي في قول الشاعر:

قدني من ذكر الخبيبين قدى

–وأما إشمام الدال فإنه علامة على أن الدال كانت مضمومة[3].

قال أبو علي الفارسي[4]: وجه ذلك أن طلدن" مثل "سبع، وعضد" فكما تحذف الضمة من نحو: "سبع" كذلك حذفت من "لدن"، فصار "لدن"، فأما إشمامها الضم فليعلم أن الدال كانت تتحرك بالضم[5].

---

(1) سورة الكهف.

(2) ومثلها: مني، وقطني، وضربني تدغم الأولي الساكنة في التي تزاد مع الضمير. قال أبو علي الفارسي: وهذا هو القياس والذي عليه استعمال. الحجة (٩٦/٣).

(3) حجة القراءات ص٤٢٤–٤٢٥.

(4) هو إمام العربية الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل (٢٨٨– ٣٧٧هـ) أبو علي أحد الأئمة في علم العربية، له تصانيف كثيرة منها كتابه الإيضاح، والكتاب الذي سبق معنا "الحجة للقراء السبعة" انظر: الأعلام للزركلي (١٧٩/٢).

(5) معاني القراءات (١١٦/٢).

هذا وقد اختار أبو منصور الأزهري[1]، والطبري[2] قراءة: فتح اللام وضم الدال وتشديد النون.

قال أبو منصور الأزهري: هي لغات معروفة، وأجودها في القراءة فتح اللام وضم الدال وتشديد النون[3].

وقال الطبري في قراءة التخفيف والتشديد: والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان فصيحتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بالقرآن، فبأتيهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إلى في ذلك قراءة من فتح اللام وضم الدال وشدد النون، لعلتين:

-أحداهما: أنها أشهر اللغتين.

- والأخري: أن محمد بن نافع البصري حدثنا، قال: ثنا أمية بن خالد، قال: ثنا أبو الجارية العبدي، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، أن النبيﷺ قرأ: **(قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً)** مثقلة[4].

ومما سبق نلحظ أنه لا إشكال في أي من القراءات الواردة، وكل واحدة من هذه القراءات قراءة صحيحة متواترة، وقد عُرفت في العربية.

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾.

اختلفت القراء في قوله: "يبدلهما".

- فقرأ نافع وأبو عمرو بالتشديد "يبدلهما" في جميع القرآن.

- وقرأ الباقون بالتخفيف.

توجيه القراءات:

نقول هما لغتان يقال: "بدل وأبدل" مثل: "نزل وأنزل".

---

(1) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي(٢٨٢-٣٧٠هـ)، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان.

(2) محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام، قال عنه ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ.

(3) معاني القراءات (١١٦/٢).

(4) جامع البيان (٧٦/١٨).

قال ابن زنجلة: وحجة التشديد: قوله: "وإذا بدلنا آيه" وقال: "لا تبديل لكلمات الله" ولم يقل: "لا إبدال".

وحجة التخفيف: قوله: "وإن أردتم استبدال زوج" فهذا قد يكون بمعنى الإبدال كما أن قوله...

فلم يستجبه عند ذالك مجيب.... بمعنى لم يجبه[١].

وكذا حجتهم قول العرب: أبدلت الشيء من الشيء إذا أزلت الأول وجعلت الثاني مكانه ومنه قول أبي النجم

عذل الأمير للأمير المبدل...

وهذا مذهب العرب ولفظها إذا قالوا بدلت الشيء من الشيء فمعناه: غيرت حاله وعينه والأصل باق، كقولك: بدلت قميصي جبة، وخاتمي حلقة؛ ودليل ذلك قوله تعالي: ﴿**بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا**﴾[٢]فالجلد الثاني هو الأول ولو كان غيره لم يجب عذابه لأنه لم يباشر معصية وهذا أوضح.

فأما إذا قالوا: أبدلت غلامي جارية، وفرسي ناقة لم يقولوه إلا بالألف فاعرف فرق ما بين اللفظين فإنه لطيف[٣].

قال أبو حيان[٤]: التخفيف والتشديد والمعنى واحد؛ وهو إذهاب الشيء والإتيان بغيره بدلاً منه، ثم التشديد قد جاء حيث يذهب الشيء كله، قال تعالي:﴿**فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات**﴾ "وبدلناهم بجنيتهم جنتين" "ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة" وعلى هذا كلام العرب نثرها ونظمها[٥].

وقال أبو علي الفارسي: بدل وأبدل يتقاربان في المعنى[٦].

---

(١) حجة القراءات ص٤٢٧.

(٢) سورة النساء آية ٥٦.

(٣) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه(٢٢٩/١).

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي (٦٥٤- ٧٤٥هـ) أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه من كتبه البحر المحيط في التفسير القرآن. انظر: الأعلام للزركلي (١٥٢/٧).

(٥) البحر المحيط (٢٠٢/٥).

(٦) الحجة للقراء السبعة (٩٨/٣).

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[1].

اختلفت القراء في قوله: "وأقرب رحماً"

- فقرأ ابن عامر بضم الحاء "رحما".
- وأسكنها الباقون "رحما".

توجيه القراءتين:

ضم الحاء وإسكانها في القراءة لغتان بمعنى واحد، كالسخت والسحت[2]، ومثلها: الرعب والرعب.

وحجة ابن عامر قول الشاعر:

كيف بظلم جارية... ومنها اللين والرحم[3].

قال ابن عاشور[4]: والرحم بضم الراء وسكون الحاء: نظير الكثر للكثرة[5].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أوصل للرحم وأبر للوالدين، وقيل أقرب عطفاً، وأمس بالقرابة، ومعنى الرحم والرحم في اللغة: العطف والرحمة والثاني: وقيل المعنى: أقرب أن يرحما به[6].

﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾[7].

اختلفت القراء في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ﴾

- فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بوصل الألف مع تشديد التاء.

---

(1) جامع البيان (١٨- ٨٦).

(2) الكشف عن الوجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب (٧٢/٢).

(3) حجة القراءات لابن زنجلة ص٤٢٧.

(4) محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٣هـ) رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، له تصانيف عدة من أشهرها تفسير المسمى بالتحرير والتنوير، انظر: الأعلام للزركلي (١٧٤/٦).

(5) التحرير والتنوير (١٥-١١٨).

(6) زاد المسير في علم التفسير (٢٤٥/٤).

(7) سورة الكهف الآية ٨٥.

– وقرأ الباقون بهمز الألف مع تخفيف التاء[١].

توجيه القراءتين:

من قرأ بالتشديد فحجته في ذلك أن المشهور في كلام العرب أن يقال: أتبع فلان أثر فلان: إذا سلك طريقه وسار بعده، وأتبعت الرجل: إذا لحقته؛ ومعلوم أن الله أخبر عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها.

والحجة عند من قرأ بالتخفيف أي: لحق سبباً، تقول: اتبعت الرجل: ألحقته خيراً أو شراً[٢].

قال مكي بن أبي طالب[٣]: وحجه من شدد أنه بناء على "افتعل" مطاوع فعل "تبع" فهو يتعدى إلى مفعول واحد، وحجة من همز وخفف أنه بناه على "افتعل" منقول من "فعل" جعله يتعدى إلى مفعولين[٤].

وقد اختار الطبري وأبو عبيد قراءة التشديد.

قال الطبري: اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة، فاتبع بوصل الألف، وتشديد التاء، بمعنى: سلك وسار، من قول القائل: اتبعت أثر فلان: إذا قفوته؛ وسرت وراءه. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (فاتبع) بهمز الألف، وتخفيف التاء، بمعنى لحق، وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه (فاتبع) بوصل الألف، وتشديد التاء، لأن ذلك خبر من الله تعالي ذكره عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها، لا عن لحاقه السبب، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل[٥].

وقال أبو عبيد: القراءة عندي فاتبع بالتشديد؛ لأنها من المسير، إنما هو افتعل. وأما الإتباع فإن معناه: اللحاق كقوله: فأتبعوهم مشرقين، وقال لغتان أتبع يتبع واتبع يتبع "افعل"[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري(٩٤/١٨)، وحجة القراءات لابن زنجلة (١(٤٢٨).

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة ص٤٢٨.

(٣) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي (٣٥٥– ٤٣٧هـ) أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها (٧٢/٢).

(٥) جامع البيان (٩/١٨).

(٦) حجة القراءات لابن زنجلة (٤٢٨/١).

واختار الفراء قراءة التخفيف فقال: وأتبع أحسن من اتبع؛ لأن معنى اتبعت الرجل: إذا كان يسير وأنت تسير وراءه. وإذا قلت: اتبعته بقطع الألف فكأنك قفوته[١].

بينما يرى أبو حيان والقرطبي[٢] أنهما بمعنى واحد؛ قال أبو حيان: والظاهر أنهما بمعنى واحد[٣].

وقال القرطبي: والحق في هذا أن "تبع وأتبع وأتبع" لغات بمعنى واحد، وهي بمعنى السير، فقد يجوز أن يكون معه لحاق وألا يكون[٤].

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾[٥].

- اختلف القراء في قوله: ﴿حَمِئَةٍ﴾

- فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص ويعقوب "في عين حمئة" مهموزة بغير ألف.

- وقرأ الباقون "حامية" بألف غير مهموزة.

توجيه القراءتين:

"حامية" بغير همز على وزن "فاعلة"، مبنى على فاعله، مشق من "حمى يحمي" فهو في المعنى: في عين حارة. ويجوز أن تكون الياء بدلاً من همزة فيكون: فاعلاً. من الحمأة.

وروي أن النبيﷺ قال لأبي ذر: (أتدري أين تغرب هذه، يريد الشمس، فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم. فقال: إنها تغرب في عين حامية).

وروي عنه ابن عمر أنه نظر إلى الشمس حين غابت فقال: (في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض).

فيكون معنى الحامية: الحارة على هذين الحديثين.

---

(١) معاني القرآن (١٥٨/٢).

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي (٠٠٠-٦٧١هـ) أبو عبدالله. القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من كتبه تفسيره الجامع لأحكام القرآن. انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٢/٥).

(٣) البحر المحيط (٢٢٠/٧).

(٤) تفسير القرطبي (٤٩/١١).

(٥) سورة الكهف الآية ٨٦.

أما من قرأ بالهمز "حمئة" فهي على وزن "فعلة" فجعله مشتقاً من "الحمأة" أي: ذات حمأة.

وقد سأل معاوية كعب فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال: تغرب في ماء وطين.

وهذا يدل على أنها من الحمأة[١].

فتكون على القراءة الأولى بمعنى: حارة من الحمو وهو الحرارة، أي أن ماءها سخن.

وعلى القراءة الثانية بمعنى: الطين الأسود. والمعنى: عين مختلط ماؤها بالحماة فهو غير صاف[٢].

وقد جمع بين هذين المعنيين لكل من القراءتين جمع من المفسرين.

قال الطبري: واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته، والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حماة وطين، وقد روي بكلا صيغتها اللتين إنهما من صفتيها أخبار[٣].

وقال القرطبي: وقد يجمع بين القراءتين فيقال: كانت حارة وذات حمأة[٤].

وقال أبو حيان: ولا تنافي بين الحامية والحمئة إذ تكون العين جامعة للوصفين[٥].

وقال الشنقيطي[٦]: ولا منافاة بين القراءتين وكلتاهما حق[٧].

---

(١) الكشف عو وجوه القراءات السبع (٧٣/٢).

(٢) انظر التحرير والتنوير (١٢٧/١٥).

(٣) جامع البيان (٩٧/١٨).

(٤) تفسير القرطبي (٤٩/١١).

(٥) البحر المحيط (٢٢١/٧).

(٦) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (١٣٢٥– ١٣٩٣هـ) مفسر مدرس من علماء شنقيط، ولد وتعلم بها، وقد توفي بمكة، له كتب منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، انظر: الأعلام للزركلي (٤٥/٦).

(٧) أضواء البيان (٣٤١/٣).

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾[1].

*** اختلفت القراء في قوله: (اسْتَطَاعُوا).**

- فقرأ حمزة بتشديد الطاء.
- وقرأ الباقون بالتخفيف.

*** توجيه القراءتين:**

حجة من خفف بغير تاء فإن أصلها استطاعوا بالتاء، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد؛ فحذفت التاء للتخفيف ولموافقة الخط.

أما الحجة عند من شدد فإنه أدغم التاء في الطاء؛ لقرب التاء من الطاء في المخرج؛ ولأنه أبدل من التاء إذا أدغمها حرفاً أقوى منها وهو الطاء، على معنى: استطاعوا، وفيه جمع بين ساكنين وهما السين والتاء المدغمة في الطاء.

وفي القراءة إشكال نبينه فيما يلي:

*** الإشكال ووجهه:**

الإشكال ورد على قراءة التشديد بإدغام التاء في الطاء، وهو "إشكال لغوي".

وجه الإشكال: الجمع بين الساكنين، وليس الأول منهما حرف لين.

قال ابن مجاهد بعد ذكر قراءة حمزة: وهذا غير جائز لأنه قد جمع بين السين وهي ساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة[2].

وقال الزجاج: فأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فهو لاحن مخطئ، قاله الخليل ويونس وسيبويه وجميع، وحجتهم في ذلك أن السين ساكنة فإذا أدغمت التاء صارت طاء ساكنة ولا يجمع بين ساكنين[3].

وقال مكي: في هذه القراءة بعد وكراهة لأنه جمع بين ساكنين[4].

---

(1) سورة الكهف الآية ٩٧.

(2) السبعة في القراءات (٤٠١/١).

(3) راجع معاني القراءات لأبي منصور الأزهري (١٢٧/٢).

(4) الكشف عن وجوه القراءات (٨٠/٢).

قال المبرد[1]: لا يقدر أحد أن ينطق به، وإنما يروم الجمع بين ساكنين ويحرك ولا يأتيه[2].

***التوجيه ورفع الإشكال:**

أما التوجيه فكما سبق أن أصل الكلمة استطاعوا أدغمت التاء في الطاء فصارت طاء مشددة، فاجتمع ساكنان ثانيهما على حرف مشدد.

فلما لم يمكن إلقاء حركة التاء على السين لئلا يحرك ما لا يحرك- يعني أن سين استفعل لا تتحرك- أدغم مع الساكن، وإن لم يكن حرف لين، وقد أنشد سيبويه "ومسحي) يعنى في قول الشاعر:

كأنه بعد كلال الزاجر... ومسحي مر عقاب كاسر

يريد "ومسحه" فأدغم الحاء في الهاء بعد أن قلب الهاء حاء، وهو عكس قاعدة الإدغام في المتقاربين.

ثم إنه يمكننا أن نلخص التخريج لهذه الوجه من القراءة والرد على هذا الإشكال بما يلي:

أولاً: أن المرجع في القراءة صحة روايتها عن النبيﷺ وإنكار هؤلاء فيه نظر، لأن أئمة القراءة إلا بنل عن رسول اللهﷺ، ومتى تطرق إليهم الغلط فيما نقلوه من مثل هذا، تطرق إليهم فيما سواه، قال أبو حيان: والذي نختاره ونقول: إن نقل القرآآت السبع متواتر لا يمكن وقوع الغلط فيه[3].

ثانياً: إذا أنكر نحوى القراءة بحجة مخالفتها لقاعدة تواطأ عليها النحاة، وأنكر على إنكاره لم يعبأ بقوله؛ لأن القاعدة وضعها من لا عصمة له، والقراءة رويت عن معصوم، والمعصوم لا يقر على خطأ.

ثالثاً: أن هذه القراءة مروية عن الإمام حمزة رحمه الله تعالي، وحمزة من الأئمة الفصحاء وقد تلقاها ولم ينكرها.

---

(1) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي (٢١٠- ٢٨٦هـ) أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، واحد أئمة الأدب والأخبار، من كتبه الكامل، وإعراب القرآن. انظر: الأعلام للزركلي (١٤٤/٧).

(2) راجع: البحر المحيط (٦٩٠/٢).

(3)البحر المحيط، (٦٩٠/٢).

رابعاً: أن الجمع بين الساكنين في مثل هذا لغة من لغات العرب، ولها نظائر في القراءة، لا يمكن أن يكون حصل في جميعها ظن من القارئ ومن ذلك لفظ: "لا تعدوا" و"فنعما" و"يخصمون"، وكل ذلك مروي عن أحد هؤلاء الأئمة.

خامساً: أن الجمع بين الساكنين في مثل هذا سائف ومسموع، لأن الحرف المشدد كالحرف المتحرك يرتفع اللسان عند النطق به ارتفاعه واحد[1].

ومن اللطائف المذكورة في هذه الآية: أن قوله: (استطاعوا) بالتخفيف (استطاعوا) والجمع بينهما تفنن في فصاحة الكلام كراهية إعادة الكلمة، وابتدئ بالأخف منهما لأنه وليه الهمز وهو حرف ثقيل لكونه من الحلق، بخلاف الثاني إذ وليه اللام وهو خفيف.

ومقتضى الظاهر أن يبتدأ بفعل (استطاعوا) ويثنى بفعل (استطاعوا) لأنه يثقل بالتكرير، ومن خصائص مخالفة مقتضى الظاهر هنا إيثار فعل ذي زيادة بموقع فيه زيادة المعنى لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى[2].

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾[3].

*** اختلفت القراء في قوله: (يرثني ويرث)**

-فقرأ أبو عمرو والكسائي "يرثني ويرث" بالجزم.

- وقرأ الباقون "يرثني ويرث" بالرفع.

*** توجيه القراءتين:**

قراءة الجزم على أنه جواباً للأمر؛ وإنما صار جواب الأمر جواب الأمر مجزوماً لأن الأمر مع جوابه بمنزلة الشرط والجزاء، والمعنى: (هب لي ولياً فإنك إن وهبته لي ورثني).

---

(1) انظر: مشكل توجيه القراءات ص١٤٧ وص٣٢٦، والحجة لأبي علي الفارسي (١٠٧/٢) والدر المصون (٣١٣٤/١).

(2) التحرير والتنوير (١٣٦/١٥).

(3) سورة مريم.

وقراءة الرفع على أنها صفة للولي أي: ولياً وارثاً؛ وإنما اختاروا الرفع لأن "ولياً" نكرة فجعلوا "يرثني" صفة، كما تقول: أعرني دابة أركبها، وكما قال "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها"[1].

قال الفراء: "يرثني" تقرأ جزماً ورفعاً... والجزم الوجه لأن "يرثني" من آية سوى الأولى فحسن الجزاء، وإذا رفعت كانت صلة للولي: هب لي الذي يرثني، ومثله "ردءا يصدقني" و"يصدقني"، وإذا أوقعت الأمر على نكرة بعدها فعل في أوله الياء والتاء والنون والألف كان فيه وجهان:

-الجزم على الجزاء والشرط.

- والرفع على أنه صلة للنكرة بمنزلة الذي، كقول القائل: أعرني دابة أركبها، وإن شئت أركبها: وكذلك (أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا) ولو قال (تكن لنا) كان صواباً[2].

قال الطبري: قال أبو جعفر: وأولي القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه برفع الحرفين على الصلة للولي، لأن الولي نكرة، وأن زكريا إنما سأل ربه أن يهب له ولياً يكون بهذه الصفة، كما روي عن رسول اللهﷺ، لا أنه سأله ولياً، ثم أخبر أنه إذا وهب له ذلك كانت هذه صفته، لأن ذلك لو كان كذلك، كان ذلك من زكريا دخولاً في علم الغيب الذي قد حجبه الله عن خلقه[3].

وقال القرطبي: والأول أصوب في المعنى- يريد قراءة الرفع- لأنه طلب وارثاً موصوفاً؛ أي وهب لي من لدنك الولي الذي هذه حال وصفته؛ لأن الأولياء منهم من لا يرث؛ فقال: هب لي الذي يكون وارثي؛ قاله أبو عبيد؛ ورد قراءة الجزم؛ قال: لأن معناه إن وهبت ورث، وكيف يخبرا الله عز وجل بهذا وهو أعلم به منه؟!قال النحاس: وهذه حجة متقصاة؛ لأن جواب الأم عند النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة؛ تقول: أطع الله يدخلك الجنة؛ أي إن تطعه يدخلك الجنة[4].

([1])حجة القراءات لابن زنجلة (٤٣٨/١).

([2]) معاني القرآن (١٦٢/٢).

([3]) جامع البيان (١٤٧/١٨).

([4]) تفسير القرطبي (٨١/١١).

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾ [1].

***اختلف القراء في قوله: (لأَهَبَ).**

- فقرأ أبو عمرو بالياء من غير همز "ليهب".
- وقرأ الباقون بالهمز "لأهب".

*** توجيه القراءتين:**

المعنى على قراءة أبو عمرو أي: إنما أنا رسول ربك ليهب لك بالياء، أي: (ليهب الله لك) ولم يكن جبريل الذي يهب بل الله يهب، المعنى أرسلني ليهب الله لك.

وعلى قراءة الباقون: "لأهب لك" أي: جبرئيل يخبر عن نفسه.

فإن قال قائل الهبة من الله تعالي فلم أخبر جبرئيل عن نفسه؟! قيل ففي ذلك قولان:

أحدهما: قال إنما أنا رسول ربك، يقول الله تعالي: "لأهب لك".

قال الزجاج من قرأ "لأهب لك" فهو على الحكاية وحمل الحكاية على المعنى على تأويل قال أرسلت إليك لأهب لك فحذف من الكلام أرسلت لدلالة ما ظهر على ما حذف.

وثانيهما: جبريل عليه السلام قال لمريم: إنما أنا رسول ربك أرسلني لأهب لك بأمر الله، إذ كان النافخ في جيبها بأمر الله[2].

*** إشكال ورده:**

ورد إشكال على قراءة أبو عمرو بالياء "ليهب لك" على معنى ليهب الله لك.

قالوا: هذه القراءة ضعيفة لأنها جاءت على خلاف المصحف.

قال ابن خالويه: ورأيت أبا عبيد قد ضعف قراءة أبي عمرو واختياره، لخلاف المصحف، قال: ولو جاز لنا تغيير المصحف لجاز لنا في كل ذلك[3].

وقال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك: ما عليه قراء الأمصار، وهو (لأهب لك) بالألف دون الياء، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين، وعليه قراءة

([1]) سورة مريم

([2]) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص٤٤٠، وإعراب القراءات السبع وعللها (١٤/٢).

([3]) إعراب القراءات السبع وعللها (١٤/٢).

قديمهم وحديثهم، غير أبي عمرو، وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه، ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم[1].

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأمور:

– أن هذا ليس خلافاً للمصحف؛ لأن حروف المد واللين وذوات الهمز يحول بعضها إلى بعض وتلين، ولا يسمى خلافاً، ومثلها قراءة ورش عن نافع: "ليلا يكون للناس" يريد" "لئلا"؛ فجعل الهمزة ياء، والقراء يقرأون: "إذا" و"إيذا" ومثلها قراءة أبي عمرو التي معنا؛ وإنما الخلاف نحو: "كالصوف المنقوش" و"كالعهن"، واسأل بني إسرائيل و"سل بني إسرائيل" وأما التليين فلا يسمى خلافاً[2].

– أن هذه القراءة مروية عن أبي عمرو وهو إمام من أئمة القراءات العشرة، وقد تلقاها بالتواتر ولم ينكرها.

– أضف إلى ذلك أن القراءة صحيحة متواترة، ولا مجال للقول بأنه الوجه الذي جاءت عليه ضعيف لمخالفته الرسم، وقد علمنا أن ذلك لا يسمى مخالفة للرسم.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا﴾[3].

*** اختلف القراء في قوله: (مِنْ تَحْتِهَا).**

– فقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بكسر الميم والتاء الثانية.

– وقرأ الباقون بفتح الميم والتاء الثانية.

*** توجيه القراءتين:**

الحجة عند من كسر الميم والتاء أنها على معنى: أن عيسى عليه السلام كلمها وهو تحتها، أي تحت ثيابها؛ لأن ذلك موضع ولادة عيسى فجعل "من" حرف جر، وخفض بها "تحتها" فكسر التاء الثانية، وفي "ناداها" ضمير الفاعل، وهو عيسى عليه السلام.

وقيل إن المعنى: (فناداها جبريل من تحتها). أي: من أسفل من مكانها "أي من دونها" كما يقال: داري تحت دارك، وبلدي تحت بلدك. أي: دونها. وعلى هذا معنى

---

(1) جامع البيان (١٦٤/١٨).

(2) انظر: إعراب القراءات السبع وعللها (١٤/٢).

(3) سورة مريم.

قوله تعالى: "قد جعل ربك تحتك سريا" أي: دونك نهراً تستمتعين به، فليس المعنى إذا جعلنا الفاعل جبريل أنه تحت ثيابها، فيكون في "ناداها" ضمير جبريل عليه السلام[1].

قال مكي ابن أبي طالب: وكون الضمير لعيسى أبين لها، وأعظم في زوال وحشتها، لتسكين نفسها. والمعنى: فكلمها جبريل من الجهة المحاذية لها، أو فكلمها عيسى من موضع ولادته؛ وذلك تحت ثيابها[2].

والحجة عند من فتح الميم والتاء أنه جعل "من" الفاعل للنداء، ونصب "تحتها" على الظرف و"من" هو عيسى كلمها من تحتها؛ أي: من موضع ولادته[3].

هذا وقد صوب الطبري كلتا القراءتين على أن الفعل فيهما لعيسى عليه السلام وتأويل الكلام عنده حينئذ: (فناداها المولود من تحتها أن لا تحزني يا أمه "قد جعل ربك من تحتك سريا"[4].

وكذا ذهب الشيخ الشنقيطي إلى أن الذي ناداها هو أبنها عيسى، وذكر قرينتان تدل على هذا:

– القرينة الأولي: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور، إلا بدليل صارف عن ذلك، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل؛ لأن الله قال: "فحملته" يعني: عيسى، "فنتبذت به" أي: عيسى، ثم "ناداها" بعد ذلك والذي يظهر من السياق أنه عيسى.

– والقرينة الثانية: أنها لما جاءت بها قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا، أشارت إلى عيسى ليكلموه كما أخبر بذلك القرآن، وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته[5].

وقد اختار القرطبي القول بأن الذي ناداها هو جبريل[6].

وقال مكي بن أبي طالب: وكون الضمير لعيسى في القراءة بفتح الميم أقوى في المعنى، ويجوز في القراءتين أن يكون لعيسى وأن يكون لجبريل، فإذا كان لجبريل

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (٨٧/٢).

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) جامع البيان (١٧٥/١٨).

(5) انظر: أضواء البيان (٣٩٤/٣).

(6) تفسير القرطبي (٩٤/١١).

كان معنى "تحتها" دونها، أسفل منها، وإذا كان لعيسى كان معنى "تحتها" تحت ثيابها، وأصل "من" أن تقع للعموم، ولكنها وقعت في هذا الموضع للخصوص لعيسى أو لجبريل وذلك جائز[1].

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾

***اختلفت القراء في قوله: (قول الحق).**

– فقرأ عاصم وابن عامر "قول الحق" بنصب اللام.

– وقرأ الباقون "قول الحق" بالرفع.

*** توجيه القراءتين:**

من قرأ بالنصب فهو على المصدر كما يقال: قلت قولاً وقلت حقاً، وقول الحق: قول الله؛ فالله جل وعز أخبر عن نفسه بأني أقول قول الحق بأن عيسى هو ابن مريم.

ومن قرأ بالرفع: فمن وجهين:

– أحدها: أن يجعل قول نعتاً لعيسى.

وقال الزجاج ويجوز أن تضمر "هو" وتجعله كناية عن عيسى لأنه قد قيل فيه "روح الله كلمته" والكلمة قول وال آخرون: بل المعنى هذا الكلام الذي جري هو قول الحق[2].

قال الفراء: وقد قرأت القراء بالنصب (قول الحق) وهو كثير يريدون به: حقا. وإن نصبت القول وهو في النية من نعت عيسى كان صواباً، كأنك قلت: هذا عبدالله أخاه بعينه. والعرب تنصب الاسم المعرفة في هذا وذلك وأخواتهما. فيقولون: هذا عبدالله الأسد عادياً كما يقولون: أسداً عادياً[3].

ويمكن أن نلخص ما سبق بما ذكره الشنقيطي حيث قال: اعلم أن لفظة "الحق" في قوله: "قول الحق" للعلماء فيها وجهان:

– الأول: أن المراد بالحق ضد الباطل بمعنى الصدق والثبوت، كقوله: "وكذب به قومك وهو الحق" وعلى هذا القول فإعراب قوله: "قول الحق":

([1]) الكشف عن وجوه القراءات (٧٨/٢).

([2]) حجة القراءات لعبد الرحمن بن زنجلة (٤٤٣/١) والحجة لابن خالويه (١٨/٢).

([3]) معاني القرآن (١٦٨/٢).

* على قراءة النصب: أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة.

* وعلى قراءة الرفع فهو خبر مبتدأ محذوف.

– الثاني: أن المراد بالحق في الآية هو الله تعالى؛ لأن من أسمائه الحق" كقوله: "ويعلمون أن الله هو الحق المبين" وقوله: وقوله: "ذلك بأن الله هو الحق" وعلى هذا القول فإعراب قوله "قول الحق":

* على قراءة النصب أنه منصوب على المدح.

وعلى قراءة الرفع فهو بدل من عيسى أو خبر، وعلى هذا الوجه فـ"قول الحق" هو عيسى كما سماه الله كلمة في قوله: "وكلمته ألقاها إلى مريم" وقوله: "إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح"؛ وإنما سمى عيسى كلمة لأن الله أوجده بكلمته التي هي "كن" فكان كما قال: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن"، والقول والكلمة على هذا الوجه من التفسير بمعنى واحد[1].

وقد اختار الطبري بعد توجيه القراءتين قراءة الرفع، وعلل لاختياره بإجماع الحجة من القراء عليها[2].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾.

*** اختلفت القراء في قوله: "مخلصاً".**

– فقرأ عاصم وحمزة والكسائي "مخلصاً" بفتح اللام.

– وقرأ الباقون "مخلصاً" بكسر اللام.

*** توجيه القراءتين:**

من قرأ بالفتح جعل المعنى أي: أخلصه الله واختاره وجعله خالصاً من الدنس وحجتهم قوله: "إنا أخلصناهم بخالصة".

ومن قرأ بالفتح جعل المعنى أي: أخلصه الله واختاره وجعله خالصاً من الدنس وحجتهم قوله: "إنا أخلصناهم بخالصة".

ومن قرأ بالكسر جعل المعنى أي: أي أخلص هو الله. التوحيد فصار مخلصاً. وجعل نفسه خالصةً في طاعة الله، وحجتهم قوله: "مخلصين له الدين"[3].

---

(1) أضواء البيان (٤١٨/٣).

(2) جامع البيان (١٩٤/١٨).

(3) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص:٤٤٤، ابن خالويه (١٩/٢) ومعاني القرآن للنحاس (٣٣٧/٤).

وبنحو هذا التفسير فسره الطبري حيث ذكر أن قراءة الكسر من المخلص، بمعنى: إنه كان يخلص لله العبادة، ويفرده بالإلوهية، من غير أن يجعل له فيهلا شريكاً، وأما قراءة الفتح فمن مخلص، بمعنى: إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته، وحمله نبياً مرسلاً.

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي: أنه كانﷺ مخلصاً عبادة الله، مخلصاً للرسالة والنبوة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصب الصواب[1].

وقد ذكر ابن عاشور أن قراءة الكسر: من أخلص القاصر إذا كان الإخلاص صفته. والإخلاص في أمر ما: الإتيان به غير مشوب بتقصير ولا تفريط ولا هوادة، مشتق من الخلوص، وهو التمحض وعدم الخلط. والمراد هنا: الإخلاص فيما هو شأنه، وهو الرسالة بقرينة المقام.

وأما قراءة الفتح فهي من: أخلصه، إذا اصطفاه.

قال في التحرير جمعاً بين المعنيين: وخص موسى بعنوان (المخلص) على الوجهين– أي المعنيين السابقين– لأن ذلك مزيته:

* فإنه أخلص في الدعوة إلى الله فاستخف بأعظم جبار وهو فرعون، وجادله مجالة الأكفاء، كما حكي الله عنه في قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ**﴾ إلى قوله: (قال أولو جئتك بشئ مبين). وكذلك ما حكاه الله عنه بقوله: (**قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ**)، فكان الإخلاص في أداء أمانة الله تعالى ميزته.

ولأن الله اصطفاه لكلامه مباشرة قبل أن يرسل إليه الملك بالوحي، فكان مخلصاً بذلك، أي مصطفى، لأن ذلك مزيته قال تعالى: (**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**) [2].

﴿**أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً**﴾.

*** اختلفت القراء في قوله (يذكر)**

– فقرأ نافع وعاصم وابن عامر بالتخفيف "يذكر".

– وقرأ الباقون بالتشديد "يذكر".

---

(1) جامع البيان (٢٠٩/١٨).

(2) (١٦–٥٤).

*** توجيه القراءتين:**

قراءة التخفيف من "ذكر يذكر" وحجتهم قوله تعالى: "**كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**" والمعنى أي: أولا يتدبر، ويتفكر؟![1].

هذا وقد اختار مكي بن أبي طالب قراءة التشديد فقال:

وهو الاختيار؛ لأنه أبلغ في المعنى في التدبر والاعتبار للإنسان بخلق نفسه كما قال: "وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه" وهي أيضاً اختيار الطبري والقرطبي على المعنى السابق:

قال الطبري: والتشديد أعجب إلى، وإن كانت الأخرى جائزة؛ لأن معنى ذلك: أولاً يتفكر فيعتبر[2].

وقال القرطبي: والاختيار التشديد وأصله يتذكر لقوله تعالي "**إنما يتذكر أولوا الألباب**"[3].

﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾.

*** اختلفت القراء في قوله: "لأَهْلِهِ امْكُثُوا".**

- قرأ حمزة "**لأَهْلِهِ امْكُثُوا**" بضم الهاء.
- وقرأ الباقون بكسر الهاء؛ وإنما كسروا لمجاورة الكسرة[4].

* توجيه القراءتين:

من ضم الهاء فلضمة الألف من "أمكثوا" غير موصولة، نقلت ضمتها إلى الهاء، وعلى لغة من يقول مررت به يا فتى[5].

قال القرطبي نقلاً عن النحاس قوله: هذا على لغة من قال: مررت بهو يا رجل، فجاء به على الأصل، وهو جائز إلا أن حمزة خالف أصله في هذين الموضعين خاصة[6].

---

(1) انظر: حجة القراءات لبن زنجلة ص٤٤٥.

(2) جامع البيان (٢٢٧/١٨).

(3) تفسير القرطبي (١٣١/١١).

(4) حجة القراءات لابن زنجلة ص٤٥٠.

(5) معاني القراءات لأبو منصور الأزهري (١٤٢/٢)، والحجة لابن زنجلة ص٤٥٠.

(6) تفسير القرطبي (١٧٢/١١).

ومن قرأ بكسر الهاء فعلى الأصل[1].

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾.

*** اختلفت القراء في قوله: "إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ"[2].**

– فقرأ ابن كثير بإسكان نون "إن"، و"هذان" بالألف مع تشديد النون.

– وقرأ أبو عمروا بتشديد نون "إن" و"هذين" بالياء مع تخفيف النون.

– وقرأ حفص بإسكان نون "إن" و"هذين" بالألف مع تخفيف النون.

– وقرأ الباقون بتشديد نون "إن" و"هذان" بالألف مع تخفيف النون.

*** توجيه القراءات:**

– على قراءة ابن كثير: تكون "إنْ" بمعنى "ما"، والأصل في "هذان": (هذا ان) فحذف الألف وجعل التشديد عوضاً من الألف المحذوفة التي كانت في "هذا"، ومن العرب من إذا حذف عوض، ومنهم من إذا حذف لم يعوض؛ فمن عوض آثر تمام الكلمة، ومن لم يعوض آثر التخفيف.

– قراءة أبو عمرو "إن هذين": وذلك لأن تثنية المنصوب والمجرور بالياء في لغة فصحاء العرب، وأبو عمرو مستغن عن إقامة دليل على صحتها.

– قراءة حفص: جعل "إن" بمعنى "ما"، واللام في "لساحران" بمعنى "إلا" والتقدير: "ما هذا إلا ساحران".

– قراءة الباقون.. وهي قراءة الجمهور... هي التي ورد عليها إشكال؛ وسنتابع فيما يلي الإشكال وتوجيه القراءة ومن ثم الرد على الإشكال الوارد.

*** الإشكال... ووجهه:**

نقول: ورد الإشكال على قراءة الجمهور وهي قراءة من قرأ بالألف من "هذان" مع قراءة "ساحران" بالألف وتشديد نون "إن"، وقد نص على هذا الإشكال شيخ الإسلام بن تيمية وأطال فيه الجواب.

---

(1) معاني القراءات لأبو منصور الأزهري (١٤٢/٢)، والحجة لابن زنجلة ص٤٥٠.

(2) انظر لتوجيه هذه القراءة وما ورد فيها من إشكال: الحجة لابن زنجلة ص٤٥٤، وتوجيه مشكل القراءات ص٣٣٠، وجامع البيان (٣٢٨/١٨) والبحر المحيط (٣٥٠/٧)، وتفسير القرطبي (٢١٦/١١)، وزاد المسير (٣١١/٤)، والدر المصون (٣٢٨٧/١)، وإعراب القرآن للنحاس (٤٦/٣).

وجه الإشكال: أن المشهور من قواعد النحو في المثنى والملحق بـه أن يرفـع بالألف وينصب ويجر بالياء، والمعروف كذلك من قواعد النحو أن "إن" تنصب الاسـم وترفع الخبر.

*** التوجيه ورفع الإشكال:**

قد أجاب العلماء عن ذلك بعدد من الإجابات نلخص بعضها بما يدفع الإشـكال إن شاء الله.

بادئ ذي بدأ لابد أن نذكر بما هو متقرر وهو: أن هذه القراءة رويت عن جـم غفير؛ فهي قراءة متواترة قرأ بها الأئمة نافع وابن عامر وشعبة والكسائي وحمزة وأبـو جعفر ويعقوب وخلف، وهؤلاء تلقوها عن جماعات تمنع العادة تواطأهم عـن الكـذب، فهي متواترة بلا ريب، وبالتالي فإنه لا يمكن أن ترد هذه القراءة لأجل إشـكال لغـوي ورد عليها- مع امتناع وروده- ثم إن القراءة مادامت صحيحة متـواترة فهـي حجـة بذاتها على اللغة، وليست اللغة حجة على القراءة فافهم ذلك رعاك الله.

ثم تتبع ذلك بما ذكره العلماء من تخريجات وأجوبة عن هذا الأشـكال الـوارد على قراءة الجمهور ومنها:

أولاً: أن ذلك على لغة إلزام المثني الألف وهي لغـة لـبعض العـرب كبنـى الحارث بن كعب وكنانة وخثعم وغيرهم، ومن شواهده:

فأَطرقَ إِطراقَ الشجاعِ ولَوْ رَأيَ... مساغاً لناباهُ الشجاعُ لصَمَّمَا

أي: لنابيه.

ويقولون: كسرت يداه وركبت علاه؛ أي: يديه وعليه؛ قال شاعرهم:

تزود منا بين أذناه ضربة... دعته إلى هابي التراب عقيم

وقال آخر:

طاروا علاهن فطر علاها... أي عليهن وعليها

وقال آخر:

إن أباها وأبا أباها... قد بلغا في المجد غايتاها

أي إن أبا أبيها وغايتها.

ثانياً: أن يقال: اسم "إن" ضمير القصة، وهو "ها" التـي قبـل "ذان"، وليـست للتنبيه التي تدخل على الإشارة؛ والتقدير: (إن القصة ذان لساحران).

ثالثاً: أن يكون اسم "إن" ضمير الشأن محذوفاً، والجملة من المبتدأ والخبر بعده في محل رفع خبر "إن"، وتقدير الكلام: (أنه)، أي: الشأن والأمر، ومن شواهده:

إن من لام في بني بنت حسان... ألمه وأعصه في الخطوب

رابعاً: أن تكون "إن" بمعنى "ما"، واللام بمعنى "إلا"، وتقدير الكلام: (ما هذا إلا ساحران).

خامساً: أن يكون ألف "هذان" ألف الأصل الذي هو "هذا"، وحذفت الألف التي للتثنية لاجتماعها مع ألف "هذا"؛ فحذفت لالتقاء الساكنتين، ودخول اللام في "لساحران" حسن لأنها دخلت على خبر "إن".

سادساً: أن يقال اجتمعت ألف "هذا والياء التي للتثنية عند النصب فالتقا ساكنان فحذفت الياء لالتقاء الساكنتين وأقرت الألف.

سابعاً: أن الألف في "هذان" مشبهة بالألف في "يفعلان" فلم تغير.

ثامناً: أنه لما كان الإعراب لا يظهر على الواحد وهو "هذا" جعل كذلك في التثنية، ليكون المثنى كالمفرد لأنه فرع عليه، فالإعراب إذا مقدر كما هو في المفرد (واختاره ابن تيمية).

تاسعاً: أن تكون "إن" بمعنى "نعم"، و"هذان" مبتدأ، و"لساحران" خبره.

وهذا وقد ورد على بعض هذه التوجيهات والتخريجات اعتراضات، وهي مردودة أيضاً، وأحسن هذه التوجيهات أولها؛ لبعده عن التكلف والشواهد عليه كثيرة، ولغة إلزام المثنى الألف لغة مشهورة، ونعلم أن القرآن جاء على أحرف عدة ولغات شتى فلا غرابة أن يكون في القرآن وجه ورد على لغة لبعض قبائل العرب المشهورة.

ثم إن هذا التخريج هو لأكثر علماء اللغة والتفسير، وقد قال بصحة هذا في العربية ابن مالك في الكافية فقال:

إلا قليلاً. والمثنى قد يرد... بألف في كل حال فاعتمد

واستشهد في شرحه بهذه القراءة فقال: أشير به إلى لغة بني الحارث بن كعب فإنهم يجرون المثنى وشبهه مجري المقصور، فتثبت ألفه في النصب والجر كما تثبت في الرفع، ومنه قراءة من قرأ "إن هذان لساحران".

هذا وإن هذه القراءة هي اختيار الإمام الطبري، ووجهها كالتخريج الأول معنا وأنها على لغة بعض العرب قال الطبري:

والصواب من القراءة في ذلك عندنا "إن" بتشديد نونها، و"هذان" بالألف لإجماع الحجة من القراء عليه، وأنه كذلك هو في خط المصحف، وأقر في جميع أحوال الإعراب على حال واحدة، وهي لغة الحارث بن كعب، وخثعم، وزبيد، ومن وليهم من قبائل اليمن[١].

وقد اختار كذلك أبو حيان التخريج لهذه القراءة على أنها لغة لبعض العرب فقال: والذي نختاره في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائماً وهي لغة لكنانة حكي ذلك أبو الخطاب، ولبنى الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية حكي ذلك عن الكسائي، ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة. وقال أبو زيد: سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفا[٢].

وقال السمين الحلبي: وقد أجيب عن ذلك: بأنه على لغة بن الحارث وبين الهجيم وبني العنبر وزبيد وعذرة ومراد وخثعم وحكي هذه اللغة الأئمة الكبار كأبي الخطاب وأبي زيد الأنصاري والكسائي[٣].

واختاره من أهل اللغة النحاس فقال: والقول الثاني من أحسن ما حملت عليه الآية- يريد به تخريج القراءة على أنها لغة لبعض العرب- إذ كانت هذه اللغة معروفة، وقد حكاها من يرتضى علمه وصدقه وأمانته، ومنهم أبو زيد الأنصاري وهو الذي يقول: "إذا قال سيبويه حدثني من أثق به فإنما يعنيني"، وأبو الخطاب الأخفش وهو رئيس من رؤساء أهل اللغة روي عنه سيبويه وغيره[٤].

إلا أن للزجاج اختيار الوجه الأخير وهو أن تكون "أن" بمعنى "نعم"، ومن المفسرين الطاهر بن عاشور فقال: وأظهرها أن تكون "إن" حرف جواب مثل: "نعم وأجل"، وهو استعمال من استعمالات "إن" أي اتبعوا لما استقر عليه أمرهم بعد النجوى كقول عبد الله بن قيس الرقيات:

ويقلن شيب قد علاك... وقد كبرت فقلت إنه

---

(١) جامع البيان (٣٢٨/١٨).

(٢) البحر المحيط (٣٥٠/٧).

(٣) الدر المصون (٣٢٨٧/١).

(٤) إعراب القرآن (٤٦/٣).

أي أجل أو نعم، والهاء في البيت هاء السكت، وقول عبدالله بن الزبير لأعرابي استجداه فلم يعطه، فقال الأعرابي: لعن الله ناقة حملتني إليك. قال ابن الزبير: أن وراكبها. وهذا التوجيه من مبتكرات أبي أسحاق الزجاج ذكره في تفسير. وقال: عرضته على عالمينا وشيخنا وأستاذينا محمد بن يزيد– يعنى المبرد–، وإسماعيل بن إسحاق بن حماد– يعنى القاضي الشهير– فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هذا، وهو أن "إن" قد وقعت موقع "نعم"، والمعنى: نعم هذان لهما الساحران، يلي هذا في الجودة مذهب بني كنانة. وأستحسن هذه القراءة، لأنها مذهب أكثر القراء، وبها يقرأ.

قال ابن عاشور: وقلت: لقد صدقا وحققا. وما أورده ابن جنى عليه من الرد فيه نظر[1].

وأيا كانت الاختلاف في الترجيح بين هذه التوجيهات إلا أن الأمر قد اتضح بما لا ريب فيه، وبما لا يتخلله إشكال ولا ضعف، والتوجيه الأول عليه الجمع من الأئمة.

وبالتالي تقرر أن كلا من القراءات بالتوجيهات السابقة صحيحة متواترة ولا يرد على أحداهن إشكال، بل إن نزول القرآن بهذه الوجوه الفصيحة في الاستعمال ضرب من ضروب إعجازه؛ لتجري تراكيبه على أفانين مختلفة المعاني متحدة المقصود.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾

*** اختلفت القراء في قوله: "كيد سحر".**

– فقرأ حمزة والكسائي "كيد سحر" بغير ألف.

– وقرأ الباقون "كيد ساحر" بالألف.

*** توجيه القراءتين:**

الحجة في قراءة الألف قيل: أنه لما أضيف إليه الكيد أتي بـ"ساحر" دون سحر.

قالوا: لأن الكيد يضاف إلى الساحر، ولا يضاف إلى السحر لأن السحر ليس له كيد، وأنما الكيد للساحر يقوى هذا وقوله: "ولا يفلح الساحر حيث أتي".

---

(1) التحرير والتنوير (١٦/١٤٤).

وحجة من قرأ بغير ألف:

** هي أن "الكيد" إذا كان بالسحر جاز أن يضاف إليه؛ لأنه به ومنه ومن سببه، قال الله جل وعز: "والنهار مبصرا" لأنه يبصر فيه ومثله كثير.

** وقيل بغير ألف على: أن يكون في الكم حذف على إضمار تقديره: كيد ذي سحر فهي كالقراءة الأولي، أضيف "الكيد" إلى فاعل السحر فيهما[1].

وقد ذكر القرطبي هذين الوجهين في القراءة الثانية التي من غير ألف[2].

وقد جمع الطبري بين المعنيين في القراءتين وهو جمع حسن فقال: والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، وذلك أن "الكيد" هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور، على خلاف ما هو به في حقيقته، فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخييل، فإلي أيهما أضفت الكيد فهو صواب[3].

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى﴾

*** اختلفت القراء في قوله: "لا تخف دركاً".**

– فقرأ حمزة "لا تخف دركاً" بجزم الفاء.

– وقرأ الباقون "لا تخاف دركاً" برفع الفاء.

* توجيه القراءتين:

قراءة حمزة بجزم الفاء على النهي، وسقطت الألف لسكونها الفاء، والمعنى: على أنه نهي من الله تعالى لموسى عليه السلام عن الخوف؛ كأنه قال: لا تخف أن يدركك فرعون وجنوده، ولا تخشى الغرق[4].

قال مكي بن أبي طالب: بالجزم على أنه جواب "فاضرب"[5].

قال ابن زنجلة نقلاً عن المبرد: من قرأ "لا تخف" فهو على المجازاة التي هي جواب الأمر كأنه قال: اضرب فإنك إن تضرب لا تخف، كقوله "ادعوني أستجب لكم"

---

(1) حجة القراءات لابن زنجلة ص٤٥٨، والكشف بن أبي طالب (١٠٢/٢).

(2) تفسير القرطبي (٢٢٤/١١).

(3) جامع البيان (٣٣٨/١٨).

(4) انظر: معاني القراءات (١٥٥/٢)، والحجة ص٤٥٩.

(5) الكشف عن وجوه القراءات (١٠٢/٢).

وقوله: "ولا تخشى" رفع على الاستئناف كما قال سبحانه: "يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون" فاستأنف[1].

والقراءة الأخرى بالرفع على الخبر، قاله ابن زنجلة[2]، أو على أنه حال من موسى على تقدير: اضرب لهم طريقاً غير خائف ولا خاشياً. وقاله مكي[3].

قال ابن زنجلة نقلاً عن المبرد: ومن قرأ "لا تخاف دركاً ولا تخشى" فعلى ضربين كما قال سيبويه؛

– أي: اضرب لهم طريقاً غير خائف ولا خاش؛ فيكونان في موضع الحال كقولك: (انطلق تتكلم يا فتي)، أي: متكلماً (فامض لا تخاف يا فتى)، أي: غير خائف.

– والضرب الثاني أن يكون على القطع مما قبله فيكون تقديره: واضرب لهم طريقاً ثم أخبر فقال: أنت غير خائف ولا خاش أي لست تخاف[4].

*** الإشكال، ووجهه:**

– الإشكال: وردَ الإشكال على قراءة حمزة– رحمه الله– "لا تخف دركاً" بجزم الفاء وإسقاط الألف.

– وجه الإشكال: فإن الإشكال مع قراءة حمزة بجزم الفاء يرد على قوله "ولا تخشى" ذلك أنها معطوفة على المضارع مجزوم، وذلك يقتضى جزم قوله "ولا تخشى"؛ ولو جزم لحذفت الألف من "تخشى" على حد قول الناظم:

واحذف جازماً... ثلاثهن تقض حكماً لازماً

لكن الألف لم تحذف فوقع الإشكال بالسبب المذكور آنفاً.

أما قراءة الجمهور فلا إشكال على قوله: "فهو فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف، معطوف على فعل مضارع مرفوع هو قوله: "لا تخاف.

*** رد الإشكال:**

ويجاب عن الإشكال السابق من خلال ثلاثة أوجه كالتالي:

– الأول: أن "ولا تخشى" مستأنف خبر مبتدأ محذوف، تقديره: وأنت لا تخشى، أي: ومن شنك أنك آمن لا تخشى.

---

(1) حجة القراءات ص٤٥٩.

(2) المرجع السابق.

(3) الكشف عن وجوه القراءات (١٠٢/٢).

(4) حجة القراءات، ص٤٥٩.

الثاني: أن الفعل مجزوم، والألف ليست هي الألف التي في موضع "لام الكلمة"؛ ولكنها زيدت للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله: "فأضلونا السبيل" وقوله: "وتظنون بالله الظنون".

– الثالث: أن إشباع الحركة بحرف مد يناسبها أسلوب معروف من أساليب اللغة العربية، كقوله عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

وتضحك منى شيخة عبشمية... كأن لم تر قبلي أسيرًا يمانيا

والأصل هنا: كأن لم تر، ولكن الفتحة أشبعت.

وكقول الراجز:

إذا العجوز غضبت فطلق... ولا ترضاها ولا تملق

والأصل هنا: ولا ترضها، ولكن الفتحة أشبعت.

وقول الآخر:

قلت وقد خرت على الكلكال... يا ناقتي ما جلت من مجال

والأصل هنا: على الكلكال يعنى الصدر، ولكن الفتحة أشبعت.

وقول عنترة في معلقته:

ينباع من ذفري غضوب جسرة... زيافة مثل الفنيق المكدم

والأصل هنا: "ينبع" يعنى: أن العرق ينبع من عظم الذفري من ناقته على التحقيق، ولكن الفتحة أشبعت.

– ومما سبق نعلم أن إشباع الفتحة ألفاً في هذه الأبيات ليس لضرورة الشعر؛ وذلك لتصريح علماء العربية بأنه أسلوب عربي معروف، ويؤيد ذلك أنه مسموع في النثر كقولهم في النثر: كلكال، وخاتام، وداناق، يعنون كلكلا، وخاتماً، ودانقاً.

وقد ذكر هذه الأوجه الأمام الشنقيطي[1]، وجمع من المفسرين كالطبري[2]، والزمخشري[3]، والقرطبي[4]، وابن الجوزي[5]، والنسقي[6]،

([1]) انظر أولاً: أضواء البيان، (٤/٦٩– ٧٠).

([2]) جامع البيان، (١٨/٣٤٤).

([3]) تفسير الكشاف (٣/٧٨).

([4]) تفسير القرطبي (١١/٢٢٨).

([5]) زاد المسير في علم التفسير (٤/٣١٥).

([6]) تفسير النسفي (٢/٣٠١).

والألوسي[١]، وابن عاشور[٢]، وكثير من اللغويين كالفراء[٣]، والنحاس[٤]، وأبو البقاء العكبري[٥].

هذا وقد ذكر الفراء والألوسي وجها آخر وهو: أن قوله: "لا تخشى" مجزوم بحذف الحركة المقدرة.

قال الفراء: وإن شئت جعلت (تخشى) في موضع جزم وإن كانت فيها الياء؛ لأن من العرب من يفعل ذلك. قال بعض بني عبس:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

فأثبتت الياء في (يأتيك) وهي في موضع جزم لأنه رآها ساكنة، فتركها على سكونها كما تفعل بسائر الحروف.

وأنشدني بعض بني حنيفة:

قال لها من تحتها وما استوي هزي إليك الجع يجنيك الجني

وكان ينبغي أن تقول: يجنك. وأنشدني بعضهم في الواو:

هجوت زبان ثم جئت معتذرا... من سب زبان لم تهجو ولم تدع[٦].

قال أبو جعفر النحاس رداً على هذه الوجه بعد ذكره قول الفراء واستشهاده بما سبق من الأبيات: هذا من أقبح الغلط أن يحمل كتاب الله جل وعز على شذوذ من الشعر، وأيضاً فإن الذي جاء به من الشعر لا يشبه من الآية شيئاً؛ لأن الواو والياء مخالفتان للألف لأنهما تتحركان والألف لا تتحرك، فللشاعر إذا اضطر أن يقدرهما متحركتين ثم يحذف الحركة للجزم، وهذا محال في الألف. وأيضاً فليس في البيتين اضطرار يوجب هذا لأنهما إذا رويا بحذف الواو والياء كانا وزناً صحيحاً من البسيط والوافر يسمى الخليل الأول مطوياً والثاني منقوصاً على معنى التعظيم والمعرفة بالأمر[٧].

وقد ذكر هذا الوجه أيضاً الألوسي، ثم قال:

كما في قوله:

---

(١) روح المعاني (٥٤٧/٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٥٦/١٦).

(٣) معاني القرآن (١٨٢/٢).

(٤) إعراب القرآن (٥١/٣).

(٥) التبيان في إعراب القرآن (٨٩٨/٢).

(٦) معاني القرآن للفراء (١٦١/١).

(٧) إعراب القرآن (٥١/٣).

إذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملق

ثم رد عليه بنفسه فقال: وهذا لغة قليلة عند قوم، وضرورة عند آخرين فلا يجوز تخريج التنزيل الجليل الشأن عليه أو لا يليق مع وجود مثل الاحتمالين السابقين أو الأول منهما[1].

قلت: ولعل فيما سبق من الأوجه الثلاثة السابقة ما يغني في الرد على الإشكال الوارد، أضف إلى ذلك أن القراءة لإمام عظيم هو من أئمة قراء الكوفة، والقراءة بهذا الوجه قراءة سبعية متواترة صحيحة ولا يمكن أن يرد إليها إشكال أو نحوه، وقد سبق ووجهنا القراءة وخرجنا وجهها في العربية بما يكفي؛ ثم إنه بعد ذلك فالقراءة مادامت صحيحة متواترة فإنها حجة على العربية وليس الأمر بالعكس، فافهم ذلك. وبالله التوفيق.

هذا وقد اختار الطبري رحمه الله قراءة الرفع وذكر علة الاختيار فقال: وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها (لا تخاف) على وجه الرفع، لأن ذلك أفصح اللغتين، وإن كانت الأخرى جائزة[2].

الآية السادسة عشر: ﴿**قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾.

*** اختلفت القراء في قوله: (بِمَلْكِنَا).**

- فقرأ نافع وعاصم ""بملكنا" بفتح الميم.
- وقرأ حمزة والكسائي "بُملكنا" بضم الميم.
- وقرأ الباقون "بِملكنا" بكسر الميم.

*** توجيهات القراءات:**

الفتح والضم والكسر كلها لغات، وهو مصدر إلا أن:

- (المُلك) بالضم مصدر من قولهم: هوملِك بين المُلك.
- و(المِلك) بالكسر مصدر من قولهم: هو مالك بين المِلك.
- و(المَلك) بالفتح لغة في مصدر مالك.

وهذا المصدر مضاف إلى الفاعل في جميع الوجوه وهو النون والألف، والمفعول محذوف وتقدير: ما أخلفنا موعدك بملكنا، والصواب: إنما بخطيئتنا[3].

---

(1) روح المعاني (٥٤٧/٨).

(2) جامع البيان (٣٤٤/١٨).

(3) الكشف لمكي بن أبي طالب (١٠٤/٢).

وقال الزجاج: المُلْك، بالضم: السلطان والقدرة. والملك، بالكسر: ما حوته اليد. والمِلْك، بالفتح: المصدر، يقال: ملكت الشيء أملكه ملكاً[1].

واختلف المعنى بينها على ثلاث معان:

– ما أخلفنا موعدك بأمرنا.

– وقال آخرون: معناه: بطاقتنا.

– وقال آخرون: معناه: ما أخلفنا موعدك بهوانا، ولكنا لم نملك أنفسنا.

قال الطبري: وكل هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يملك نفسه، لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر، وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه، فإذا كان ذلك كذلك، فسواء بأي القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ، وذلك – أن من كسر الميم من الملك، فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك، ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا على خلافه، وجعله من قول القائل: (هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات)، – وأن من فتحها، فإنه يوجه معنى الكلام إلى نحو ذلك، غير أنه يجعله مصدراً من قول القائل: (ملكت الشيء أملكه ملكا وملكة)، كما يقال: غلبت فلانا أغلبه غلبا وغَلَبة، – وأن من ضمها فإنه وجه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا، أي ونحن نقدر أن نمتنع منه، لأن كل من قهر شيئاً فقد صار له السلطان عليه.. [2].

الآية السابعة عشر: ﴿**قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا**﴾

*** اختلفت القراء في قوله: (بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ).**

– فقرأ حمزة والكسائي "بما لم تبصروا به" بالتاء.

– وقرأ الباقون "بما لم يبصروا به" بالياء.

*** توجيه القراءتين:**

على قراءة التاء للخطاب: أي: (بصوت بما لم تبصر به أنت يا موسي ولا قومك)؛ فأخرجنا الكلام على ما جري به الخطاب قبل ذلك وهو قوله: "قال فما خبك يا سامري".

([1]) راجع: زاد المسير (٣١٧/٤).

([2]) جامع البيان (٣٥١/١٨).

وعلى قراءة الياء للخبر: أي: (علمت ما لم يعلم بنو إسرائيل)؛ وحجتهم في ذلك أن الخبر إنما جرى من السامري لموسي ما كان في غيبته من الحدث عما فعله ببني إسرائيل فخاطب موسي بخبر عن غيب فعله[١].

وقد رجح مكي بن أبي طالب قراءة الياء وقال: والياء أولى لأن المخاطب وهو موسى عليه السلام لم يكن حاضراً؛ إذ قبض السامري القبضة؛ ولأن الأكثر على ذلك[٢].

قال الطبري: والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنى كل واحدة منهما، وذلك أنه جائز أن يكون السامري رأي جبرائيل، فكان عنده ما كان بأن حدثته نفسه بذلك أو بغير ذلك من الأسباب...، ولك يكن علم ذلك عند موسى، ولا عند أصحابه من بني إسرائيل، فلذلك قال لموسى "**بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ**" أي علمت بما لم تعلموا به، وأما إذا قرئ: " **بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ**" بالياء، فلا مؤنة فيه، لأنه معلوم أن بني إسرائيل لم يعلموا ما الذي يصلح له ذلك التراب[٣].

الآية الثامنة عشر: ﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعداً لَنْ تُخْلَفَهُ**﴾.

*** اختلفت القراء في قوله: "لَنْ تُخْلَفَهُ".**

– فقرأ أبو عمرو وابن كثير "**لَنْ تُخْلَفَهُ**" بكسر اللام.

– وقرأ الباقون "**لَنْ تُخْلَفَهُ**" بفتح اللام.

*** توجيه القراءتين:**

المعنى في قراء الكسر أي: لم يتأخر عنه؛ فبني الفعل للفاعل وهو المخاطب، وفي الكلام مفعول ثان محذوف، تقديره: لن يخلفه الله، أي: لن يخلف الله الإتيان إلى الموعد وهو الحشر يوم القيامة[٤].

وقال النحاس: (وإن لك موعدا لن تخلفه) بكسر اللام يحتمل معنيين:

– أحدهما: لن تجده مخلفاً، كما يُقال: أحمدته، أي وجدته محموداً.

---

(١) حجة القراءات لابن زنجلة، ص٤٦٢.

(٢) الكشف (١٠٥/٢).

(٣) جامع البيان (٣٦٢/١٨).

(٤) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (١٠٥/٢).

– والمعنى الآخر على التهديد أي: لابد لك من أن تصير إليه[١].

وأما قراءة الفتح فإنهم قد بنوا الفعل على مال لم يسم فاعله، أي: لن يخلفك الله الموعد؛ بل يبعثك إليه من قبرك، والفاعل هو الله تعالى أو موسى عليه السلام.

قال مكي بن أبي طالب: وهو الاختيار لأن الأكثر عليه، والفعل في القراءتين يتعدى إلى مفعولين..، فالمعنى: سيأتيك الله بالموعد ولن يتأخر الموعد عنك[٢].

وقال ابن الجوزي: قوله تعالي: "**وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ**" أي: لعذابك يوم القيامة "**لَنْ تُخْلَفَهُ**" أي: لن يتأخر عنك، ومن كسر لام "تخلف" أراد: لن تغيب عنه[٣].

وقد أمكن الجمع بين المعنيين في القراءتين قال الطبري: والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأنه لاشك أن الله موف وعده لخلقه بحشرهم لموقف الحساب، وأن الخلق موافون ذلك اليوم، فلا الله مخلفهم ذلك، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك[٤].

الآية التاسعة عشر: ﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً**﴾

*** اختلفت القراء في قوله: "يُنْفَخُ".**

– قرأ أبو عمرو بالنون "ننفخ".

– وقرأ الباقون بالياء "يُنفخ".

*** توجيه القراءتين:**

من قرأ بالنون: يكون المعنى أن الله تعالى أخبر عن نفسه على أن يكون آمراً بذلك كما يقول السلطان: نحن نكتب إلى فلان. ومعناه: نأمر؛ لا أنه يتولى الكتاب بيده، وحجتهم: أن الكلا م أتى عقيبه بلفظ الجمع بإجماع، وهو قوله تعالى: "ونحشر المجرمين" فجعل ما قبله بلفظه ليتسق الكلام على نظام واحد[٥]، واتفاق الفعلين أولى من اختلافهما[٦].

قال ابن عاشور: وإسناد النفخ إلى الله مجاز عقلي باعتبار أنه الآمر به، مثل: بني الأمير القلعة[٧].

---

(١) إعراب القرآن (٣/٥٧).

(٢) المرجع السابق (٢/١٠٦).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٤/٣٢٠).

(٤) جامع البيان (١٨/٣٦٤).

(٥) حجة القراءات لابن زنجلة (١/٤٦٣).

(٦) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (٢/١٠٦).

(٧) التحرير والتنوير (١٦/١٨٠).

وأما من قرأ بالياء فعلى ما لم يسم فاعله، ويكون المعنى ينفخ ملك الصور في الصور، وحجتهم قوله في موضع آخر: "ونفخ في الصور" جاء بلفظ ما لم يسم فاعله.

قال مكي بن أبي طالب: وهو الاختيار[1].

وقال الطبري: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار "**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**" بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله، بمعنى: يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك "**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**" بالنون بمعنى: يوم ننفخ نحن في الصور، كأن الذي دعاه إلى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله: "ونحشر المجرمين" إذ كان لا خلاف بين القراء في "نحشر" أنها بالنون.

قال: والذي أختار في ذلك من القراءة "يوم ينفخ" بالياء على وجه ما لم يسم فاعله، لأن ذلك هو القراءة التي عليها قراء الأمصار وإن كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد[2].

الآية العشرون: ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**﴾.

*** اختلفت القراء في قوله: "ترضى"**

– فقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم "لعلك ترضي" بضم التاء.

– وقرأ الباقون لعلك ترضى بالفتح[3].

*** توجيه القراءتين:**

وقد جاءت هذه القراءة بالضم على مالم يسم فاعله، والذي قام مقام الفاعل هو النبيﷺ، والفاعل هو الله تعالى، والمعنى لعل الله يرضيك بما يعطيك يوم القيامة، و"لعل" من الله واجبة.

وحجة من قرأ بالفتح: جعلوا الفعل للنبيﷺ أي: لعلك ترضى بما يعطيك الله ودليله: "ولسوف يعطيك"[4].

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات (١٠٦/٢).

(2) جامع البيان (٣٦٩/١٨).

(3) حجة القراءات لابن زنجلة (٤٦٤/١).

(4) الكشف عن وجوه القراءات (١٠٨/٢).

قال مكي بن أبي طالب: وهو الاختيار لأن الأكثر عليه، فلابد أن يُعطي محمدﷺ في القيامة حتى يرضى... [١].

وقد ذكر الطبري أن الذين قرأوا بالفتح كأنهم ذهبوا إلى معنى: إن الله يعطيك، حتى ترضى عطيته وثوابه إياك، وكأن الذين قرأوا ذلك بالضم، وجهوا معنى الكلام إلى لعل الله يرضيك من عبادتك إياه، وطاعتك له[٢].

وإلى هذا التوجيه في المعاني ذهب القرطبي[٣]، وأبو حيان[٤]، وابن الجوزي[٥].

وقال الفراء: قوله (لعلك ترضى) و(ترضى) ومعناهما واحد لأنك إذا رضيت فقد أرضيت[٦].

وقال أبو منصور الأزهري: المعنى فيهما واحد[٧].

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى، غير مختلفتيه، وذلك أن الله تعالى ذكره إذا أرضاه، فلاشك أنه يرضى، وأنه إذا رضي فقد أرضاه الله، فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب[٨].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) جامع البيان (٤٠٢/١٨).

(٣) تفسير القرطبي (٢٦١/١١).

(٤) البحر المحيط (٣٩٩/٧).

(٥) زاد المسير في علم التفسير (٣٢٨/٤).

(٦) معاني القرآن للفراء (١٩١/٢).

(٧) معاني القراءات (١٦٠/٢).

(٨) جامع البيان (٤٠٢/١٨).